الاطاريح الفكرية في عالم ما بعد الحرب الباردة

اطروحة صدام الحضارات انموذجاً

أ.م. فائز صالم محمود **(باحث) سجى فتام زيدان**

جامعة الموصل/ كلية العلوم السياسية

مُقَدِّمَة

بعد انتهاء الحرب الباردة والقطبية الثنائية بانهيار (الاتحاد السوفيتي) وتفكك جمهورياته كل هذا فتح المجال امام بروز نظام دولي جديد حاولت الولايات المتحدة الامريكية ان تهيمن عليه، وذلك لأنها تحتل موقعاً مهماً في صراع الحرب الباردة، فحاولت ان تعزو لنفسها الانتصار في هذه الحرب، وان تنصب نفسها زعيمة للنظام العالمي لما بعد الحرب الباردة، بأعتبارها اللاعب الاقوى في الساحة الدولية بغياب المنافس (الاتحاد السوفيتي).

وبذلك ظهرت عدة اطاريح فكرية، حاولت ان تحدد لنا طبيعة النظام الدولي، وان تثبت لنا قدرة الولايات المتحدةعلى زعامة النظام العالمي الجديد وقيادته.

وابرز هذه الاطاريح الفكرية هي اطروحة العولمة، ونهاية التاريخ، واطروحة صِدام الحضارات.وسيتم تناولها تباعاً مركزين بالدرجة الاساس على اطروحة صِدام الحضارات، بأعتبارها الانموذج الابرز في تلك الاطاريح

المبحث الاول

الاطاريح الفكرية التي سبقت صِدام الحضارات

اولاً: العولمة

شهد الربع الأخير من القرن العشرين وبشكل أكثر تحديد عقد التسعينات العديد من التغيرات العالمية السريعة والمتلاحقة والعميقة في آثارها وتوجهاتها المستقبلية، فالعالم تحول إلى قرية صغيرة متشابكة المصالح بفعل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية.

وقد نتج عن كل ذلك مفهوم جديد لا يزال يثير جدلا واسع النطاق حوله من حيث تحديده وآثاره وأبعاده وهو مفهوم العولمة.

تعود لفظة عولمة في اصلها الى الكلمة الانكليزية (Global) والتي تعني عالمي او دولي او كروي، وترتبط احياناً بالقرية ويصبح معنى المصطلح القرية العالمية (Village Global) اي ان العالم عبارة عن قرية كونية واحدة، اما المصطلح القرية العالمية (Globalization) فيترجم الى الكوكبة او الكونية او العولمة، ويتصل بها فعل عولم على صيغة فوعل وكانت الغلبة لكلمة العولمة لشيوع استخدامها[١] والعولمة ظاهرة تبشر بأن اطراف العالم قد تداخلت نتيجة لسرعة وسائل المواصلات الى درجة ان الاحداث الاقتصادية والسياسية في بقعة من العالم تؤثر على البقع الاخرى من الكرة الارضية، وادعى المبشرون بها، بأنها تقرر مصير البشرية الى درجة ان الدول بل المؤسسات العالمية مثل هيئة الامم المتحدة قد توقفت في يومنا هذا عن التأثير على سير الاحداث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لأنها خاضعة جملة وتفصيلاً لتأثيرات (قوى السوق) المستقلة عن ارادة الانسان.[٢] وقد ظهر مفهوم العولمة في مجال التجارة والاقتصاد اولاً، لكنه خرج عن مجال الاقتصاد الى المجالات الاخرى، مثل السياسة والاتصالات والتسويق، فهي اصبحت نظام عالمي[٣] والعولمة تسجل العلاقة بين المحلي والعالمي وانها تتضمن الموازنة والتبادل والتقابل بالمثل بين المحلي والاممي و العالمي، ولكن هذا التوازن لا

وجود لـه حيث تفرض البلدان الغربية المتقدمة جبروتها على البلدان المنكوبة في العالم الثالث فتغطية العلاقات غير المتوازنة بين الطرفين عن طريق الافراط في استخدام كلمة العولمة، لا يمكن ان تبرئ ذمة الغرب في الهيمنة على مقدرات الشعوب المقهورة.(٤) اما عن صور العولمة لم يكن هناك شكل واحد، او صورة واحدة للعولمة بل صور متعددة ومختلفة وكل صورة من هذه الصور هي عولمة بحد ذاتها وحسب ما صرح به بطرس غالي امين عام الامم المتحدة (سابقاً) فهناك عولمات عديدة عولمة في مجال المعلومات والبيئة والمال وحتى الجريمة، لكن اشكال العولمة التي ظهرت لحد الان اصبحت لها مؤسسات وركائز في المجتمع هي: العولمة السياسية والعولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية.(٥) العولمة السياسية هي بروز المجال السياسي العالمي وهو جزء من هذا الكل العالمي الذي يتمدد في الوقائع الحياتية والفكرية المعاصرة، والمجال السياسي العالمي يعني التفكير في العالم وتخيله كوحدة سياسية واحدة.(٦) العولمة الاقتصادية هو انتقال مركز الثقل الاقتصادي العالمي من الوطني الى العالمي ومن الدولة الى الشركات والمؤسسات والتكتلات الاقتصادية، وان نمو وسلامة الاقتصاد العالمي هي محور الاهتمام العالمي وليست الاقتصادات المحلية، والاولوية الاقتصادية في ظل العولمة هي لحركة رأس المال والاستثمارات والموارد والسياسات والقرارات على الصعيد العالمي وليس على الصعيد المحلي.(٧) اما العولمة الثقافية فهي النقيض الحقيقي لوجود عوالم اخرى هي مشروع ثقافات ذات ملامح متشابهة وتتجه جميعاً نحو رؤية موحدة للكون، فهي تسعى لألغاء الفوارق واعلاء التشابهات والتفاعلات بين الثقافات.(٨) العولمة تتعلق بالدعوة الى توسيع الانموذج الامريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله، وبعبارة اخرى فبما ان الدعوة الى العولمة قد ظهرت فعلاً في الولايات المتحدة الامريكية بهذا المعنى في اوساط المال والاقتصاد، فأن لنا ان نستنتج الامر يتعلق ليس فقط بآلية من آليات التطور الرأسمالي الحديث بل ايضاً بالدعوة الى تبني نموذج معين، وبالتالي فالعولمة هي، الى جانب كونها نظاماً اقتصادياً هي ايضاً

ايديولوجياً تعكس هذا النظام وتخدمه وتكرسه وهناك من الكتاب من يقرن بينها وبين الامركة اي نشر وتعميم الطابع الامريكي.[٩] فمنذ ان شهد العالم في عقد التسعينيات من القرن الماضي مجموعة من المتغيرات الدولية، من ابرزها انهيار (الاتحاد السوفيتي) وفشل تجربته الاشتراكية وتفكك اوربا الشرقية وتحولها من نهج الاشتراكية الى رأسمالية السوق واصبح واضحاً لمن تكون الغلبة فقد وجدت الليبرالية نفسها وحيدة فأغتنمت الفرصة، فالليبرالية تغتنم كل فرصة تسنح لها اذ انفردت الولايات المتحدة الامريكية قائدة المنظومة الرأسمالية في العالم فأصبحت الليبرالية القوة الوحيدة والفكر الوحيد من غير منافس ولم تعد هناك تهديدات عسكرية بعد ازالة الحواجز الرادعة فأنطلقت الادارات الامريكية في تنفيذ سياسة الهيمنة على العالم وروجت لمفاهيم دول الجنوب التي اصبحت ساحاته وخيراته مفتوحة امامها وعلى مصراعيها دون منافس ستراتيجي كما كان في السابق.[١٠]

ثانياً: اطروحة نهاية التاريخ

يعود اصل اطروحة نهاية التاريخ الى المقال الذي نشر في مجلة The Nationl Interest خلال صيف ١٩٨٩ تحت عنوان نهاية التاريخ، لقد طرحت في ذلك المقال الفكرة التالية :يبدو انه قد ظهر توافق مدهش في السنوات الاخيرة يتعلق بالديمقراطية الليبرالية كنظام حكم، لأنها اقتصرت على الايديولوجيات المنافسة _ مثل النظام الملكي الوراثي والفاشية، واخيراً الشيوعية، والديمقراطية الليبرالية بأمكانها ان تشكل فعلاً منتهى التطور الايديولوجي للأنسانية والشكل النهائي لأي حكم انساني اي انها من هذه الزاوية نهاية التاريخ فبينما اشكال الحكم القديمة تتميز بأخطاء خطيرة وتناقضات لا يقبلها العقل ادت الى انهيارها، فأنه بالامكان الادعاء ان الديمقراطية الليبرالية كانت خالية من هذه التناقضات الاساسية .[١١] فى البداية كان يجب التعرض لمعنى (نهاية التاريخ) من وجهة نظر فوكوياما الذى قال إنه لا يعنى نهاية الأحداث وإنما يقصد بنهاية التاريخ نهاية تطور التاريخ بمفهومه الفلسفى الديالكتيكى كصراع الأيديولوجيات الذى انتهى بسقوط الشيوعية وانتصار الليبرالية الديمقراطية التى تمثل فى وجهة نظره الشكل الوحيد القابل للحياة والاستمرار.

أما معنى الليبرالية الرأسمالية التى يرى فوكوياما أنها الشكل الوحيد القادر على الحياة والاستمرار؛ فيقدمه فوكوياما على أنها مفهوم يتكون من جزأين مرتبطين، الأول وهو الليبرالى: ويعنى وجود سلطة محدودة للدولة تسمح للأفراد والمواطنين بممارسة قدر كبير من الحرية الشخصية كقدرتهم على المشاركة فى الحياة السياسية وحرية التعبير وغيرها.

أما الجزء الثانى وهو الديمقراطية: فتعنى فى منظور فوكوياما يعنى القدرة الحقيقية للشعوب على اختيار الحكومات.[١٢] ان اطروحة نهاية التاريخ ليست جديدة في الفكر الانساني، فهناك افكار قائمة من حيث المبدأ على مفهوم نهاية التاريخ اذ تصور نفسها اجابات نهائية وابدية وهناك امثلة على هذا مثل جمهورية افلاطون ومدينة الله لأوغسطين والشيوعية لماركس .ونستطيع القول ان المجتمعات تنتج فلسفة نهاية التاريخ وهذا في حالة هزيمتها او انتصارها، في حالة الهزيمة تكون الافكار الدينية تطرح فكرة ان العالم اوشك على الانتهاء، وفي حالة الانتصار تسود الافكار القومية او الذاتية التي تعتقد وتنشر فكرة نهاية التاريخ بوصوله الى اقصى ما يمكن ان يصل اليه البشر من علو وسمو.[١٣] وهذه الاطروحة تبين ان الولايات المتحدة الامريكية وانموذجها من الليبرالية الرأسمالية وديمقراطيتها هي اخر ما توصل اليه تطور الفكر السياسي وانها افكار ناجحة ولا شائبة فيها فهي تصلح ان تكون النموذج الامثل الذي يجب ان يؤخذ به ولن تظهر افكار افضل منها لأنها الحل الانسب لجميع المشاكل في العالم.

ان فكرة نهاية التاريخ عندما تؤكد على انتصار الليبرالية، وتحسم مستقبل الولايات المتحدة الامريكية بأنه مستقبل امن، وبذلك لا يبقى اي داعي لتخصيص ميزانية ضخمة للدفاع والانفاق العسكري.[١٤] وبذلك لا تخدم مصالح الولايات المتحدة الامريكية، في االهيمنة وفرض سيطرتها على العالم، والتدخل في مناطق مختلفة من العالم.

المبحث الثاني

اطروحة صِدام الحضارات

نشر هنتنكتون مقالته (صِدام الحضارات) في صيف ١٩٩٣ في مجلة شؤون خارجية وهي مجلة ذات نفوذ كبير تهتم بالمصالح الخارجية للولايات المتحدة الامريكية كما تراها نخبة صانعي السياسة الامريكية، وتعتبر منبراً مفتوحاً لكبار الدبلوماسيين للتعبير عن وجهات نظرهم فيما يخص السياسة الخارجية الامريكية وهي معروفة بقربها من مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الامريكية، وطور هنتنكتون مقالته بتأليفه كتاب صدر عام ١٩٩٦ حيث قام بتوضيح واغناء افكاره وتدعيمها بمجموعة من المعطيات الجديدة.[١٥] لفهم مضمون اطروحة صِدام الحضارات، تم تقسيم هذا الموضوع الى عناوين فرعية تحاول مواضيعها، ان توضح مضمون الاطروحة قيد الدراسة.

اولاً :مفهوم هنتنكتون للحضارة

الحضارة في المفهوم العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول الى تلك الثمرة مقصوداً ام غير مقصود، سواء أكانت الثمرة مادية ام معنوية.[١٦] يقول هنتنكتون:" ان الحضارة هي كيان ثقافي، القرى والمناطق والمجموعات العرقيةوالقوميات والمجموعات الدينية، كل واحدة على حدى لديها ثقافة متميزة عن غيرها. يجوز لثقافة قرية في جنوب ايطاليا ان تكون مختلفة عن ثقافة قرية في شمال ايطاليا، لكن الاثنتين على حد سواء تشارك في الثقافة الايطالية المشتركة، والمجتمعات الاوربية بدورها تتقاسم الملامح الثقافية التي تميزها عن المجتمعات العربية او الصينية، والحضارة هي اعلى تجمع ثقافي للناس وهي اوسع من الهوية الثقافية، وهي تعرف من العناصر الموضوعية المشتركة، مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات وتحديد المصير الذاتي للشعب، وهناك مستويات للهوية لدى البشر، فساكن روما قد يعرف نفسه بدرجات متفاوتة من الاتساع روماني، كاثوليكي، مسيحي، اوربي، غربي.[١٧]

تتجه اطروحة هنتنكتون الى بلورة فكرة معينة ومضمونها ان الحضارات تركيبات خاصة ومتميزة تشترط رد فعل الجماعات البشرية التي تتبناها وان العلاقة بين هذه الحضارات هي علاقات صراع او تنافس وبذلك يصبح المضمون الحقيقي للفترة التاريخية التي نعيشها هو التصادم بين الجماعات المنتمية الى حضارات مختلفة.[١٨] **يقول هنتنكتون:** "فمن فرضيتي على أن المصدر الأساسي للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون أيديولوجياً او اقتصادياً في المقام الأول. فإن الانقسامات العظيمة بين البشر والمصدر الأساسي للنزاع يكون ثقافيا. والدول القومية تظل هي الجهات الفاعلة الأكثر نفوذا في شؤون العالم، ولكن النزاعات الرئيسية في السياسة العالمية ستحدث بين الأمم والجماعات من مختلف الحضارات. وصراع الحضارات سيكون خطوط المعركة في المستقبل.[١٩]

ثانياً: الحضارة الغربية صاحبة السيادةوالتفوق

تفكك الاتحاد السوفيتي ازال المتحدي الخطير الوحيد بالنسبة للغرب ونتيجة لذلك فأن العالم قد اصبح وسيظل يتشكل طبقاً لأهداف واولويات ومصالح الدول الاوربية الغربية القوية، وربما بمساعدة اليابان احياناً.وحيث ان الولايات المتحدة الامريكية القوة الكبرى الوحيدة المتبقية، فأنها مع بريطانيا وفرنسا يتخذون القرارات الحاسمة في القضايا السياسية والامنية والولايات المتحدة الامريكية مع اليابان والمانيا يتخذون القرارات الحاسمة في القضايا الاقتصادية.[٢٠] وقد لخص هنتنكتون المكونات الجوهرية للحضارة الغربية، بالميراث الكلاسيكي (العقلية اليونانية والقانون الروماني) والكاثوليكية والبروتستانتية، ومجموعة متنوعة من اللغات الاوربية، الفصل بين الكنيسة(الدين) والدولة، سيادة القانون، التعددية الاجتماعية، والهيئات الفردية، وهذا ما يجعل الغرب متميزاً عن باقي الحضارات.[٢١]

ويرى هنتنكتون ان الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح اساسية في كل حضارة او منطقة اخرى والمجتمعات التي تنتمي الى حضارات اخرى محتاجة دائماً الى مساعدة غربية لتحقيق اهدافها وحماية مصالحها[٢٢] ويتوصل هنتنكتون في اطروحته الى تصنيف جديد للعالم يؤكد فيه على تفوق الغرب وحتمية سيادته

للعالم، بعد ان يرى ان التصنيفات التي درج العالم عليها منذ الحرب العالمية الثانية، قد فقدت معناها بعد انهيار الكتلة الشيوعية وبالتالي لابد من تصنيف اخر لفهم الوضع العالمي الجديد والتصنيف الذي يختاره هو الذي يقسم العالم الى (مركز) و (اطراف)، المركز هو كتلة من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم، واما الاطراف فهي مجموعة من الدول الاضعف من النواحي الصناعية والمالية والسياسية تتحرك ضمن نمط من العلاقات يشكلها المركز في المقام الاول وان القضية الاساس هي الامن وامن المركز تحديداً.[٢٣] ويشير هنتنكتون في معرض حديثه عن تفوق الغرب بأن الايديولوجيات السياسية الضخمة للقرن العشرين تشمل الليبرالية، الاشتراكية، الفوضوية، النقابية، الفاشية، والديمقراطية المسيحية، بأنها كلها منتجات الحضارة الغربية[٢٤] ويذكر هنتنكتون رأي احد المفكرين في كتابه صِدام الحضارات عن اسباب تفوق الحضارة الغربية بأنها تمتلك وتشغل النظام المصرفي العالمي، التحكم في كل العملات الصعبة، هي المستهلك العالمي الرئيسي، المزود الرئيسي لأغلب دول العالم بالسلع المصنعة، المهيمنة على اسواق رأس المال العالمية، القادرة على التدخل العسكري الواسع، الهيمنة على الملاحة البحرية، المطبقة لأحدث وسائل البحث والتطور التقني المتقدم، التحكم في التعليم التقني الراقي والقيادي، المسيطرة على صناعة الفضاء والوصول الى الفضاء، المسيطرة على الاتصالات العالمية، المسيطرة على صناعة الاسلحة ذات التقنية العالية.[٢٥] يرى هنتنكتون ان الشعوب والحكومات غير الغربية عليها ان تنضم الى الغرب بأعتباره محرك وصانع للتاريخ[٢٦]

ثالثاً :تحديد العدو

ان اطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما التي تؤكد على انتصار الليبرالية وتدفع الى الاطمئنان على مستقبل الولايات المتحدة الامريكية . فقد تجاوزها هنتنكتون لأنها لاتخدم تطلعات وتوجهات السياسة الامريكية، فهنتنكتون حسب اطروحته يبث فكرة ان التاريخ لم ينتهِ، اي تاريخ الحروب والصدامات واذا كان الخطر الشيوعي قد زال بتفكك الاتحاد السوفيتي فأن هناك خطراً اخر يدق الابواب ويتهدد الغرب وفي

مقدمته الولايات المتحدة الامريكية.[٢٧] هنتنكتون يرى ان الصِدام سيكون ثنائي الاطراف الحضارة الغربية من جهة والحضارتان الاسلامية والكونفوشية (الصينية) من جهة اخرى اذ يأخذ في توزيع الحضارات حسب امكانية اندماجها في الحضارة الغربية، فاليابانيون وان كان لهم حضارة متميزة الاانهم اصبحوا جزءاً من الغرب سياسياً وتكنلوجياً، اما بالنسبة للحضارة السلافية الارثذوكسية فأن شعوبها جزء من اوربا التي ترغب بالاندماج بالغرب، وكذلك الحال بالنسبة لأمريكا اللاتينية، اما الحضارة الهندية فأنها تعاني من التمزق الداخلي، بسبب وجود طوائف واقليات، اما افريقيا فلا يدخلها بالحسبان.[٢٨] تبقى حضارتان الصينية والاسلامية ويعود سبب عدم اندماجهم بالغرب الى اسباب معينة وهي:

الصينيون لم يترددوا في تأكيد تميز ثقافتهم والاطراء على تفوق قيمهم ونمط حياتهم مقارنة بالغرب والمجتمعات الاخرى، المجتمعات الصينية اصبحت اقل استجابة لمطالب ومصالح الولايات المتحدة واكثر قدرة بشكل متزايد على مقاومة الضغوط من الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الغربية.[٢٩] الصينيون يعتقدون ان هذا النجاح هو الى حد كبير نتاج للثقافة الاسيوية، والتي هي متفوقة على الثقافة الغربية[٣٠]

المسلمون بأعدادهم الهائلة اصبحوا يتجهون الى الاسلام بأعتباره مصدراً للهوية، والمعنى، والاستقرار، والشرعية، والتطور، والقوة، والامل، كما يلخصه الشعار "الاسلام هو الحل"هذا الانبعاث الاسلامي او الصحوة الاسلامية في مداه وعمقه هو اخر مظهر في تكييف الحضارة الاسلامية مع الغرب انه مجهود لأيجاد (حل) ليس في الايديولوجيات الغربية، ولكن في الاسلام، انه يجسد قبول الحداثة ورفض التغريب[٣١]

وفقاً لما تقدم فان العدو المستقبلي سوف يكون اما الحضارة الصينية او الحضارة الاسلامية.

رابعاً: اهداف اطروحة صِدام الحضارات

هنتنكتون افترض ان هناك صِداماً للحضارات وعمل جاهداً لأثبات ان هذا الصدام حاصل لامحالة، مطلقاً تسمية حضارة على التكنلوجيا الامريكية والصناعية بشكل عام، وسيكون هذا الصِدام بين ما سماه الحضارة الغربية والحضارات الاخرى، وحددها بالحضارة الكونفوشية والحضارة الاسلامية مركزاً على الاخيرة لكونها حسب تصوره انها العدو والخطر القادم والذي يجب ان يستعد له الغرب ومقللاً من خطر الحضارة الكونفوشية.

اذا القينا نظرة على المسار الذي سلكه هنتنكتون في صياغة اطروحته (صِدام الحضارات) لأمكننا ان نستنتج جملة من الاهداف التي ترمي اليها الاطروحة وكالآتي:

أ. الحاجة الى العدو والحفاظ على الهوية القومية الامريكية

حذر جورجي ارباتوف كبير مستشاري الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشوف الامريكيين عام ١٩٨٧، بالقول:" نحن نفعل شيئاً رهيباً لكم اننا نحرمكم من عدو"[٣٢] يقول هنتنكتون بالنسبة للشعوب الباحثة عن هوية، والتي تعيد اختراع العرقية فأن العدو ضروري، واخطر العداوات المحتملة تحدث عبر خطوط التقسيم بين حضارات العالم الرئيسة، وان الثقافة والهويات الثقافية والتي هي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل انماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة[٣٣] يقول هنتنكتون:" سوف تكون الهوية الحضارية متزايد الأهمية في المستقبل، وسوف يتشكل العالم الى حد كبير بفعل التفاعلات بين سبع أو ثماني حضارات كبرى. وتشمل هذه الغربية، والكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندوسية والسلافية الأرثوذكسية، وأمريكا اللاتينية وربما الحضارة الأفريقية. فإن الصراعات الأكثر أهمية في المستقبل تحدث على طول خطوط الصدع الثقافي يفصل هذه الحضارات من بعضها البعض.[٣٤] يرى هنتنكتون ان عمليات التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي في مختلف انحاء العالم تفصل الناس عن الهويات المحلية منذ فترة طويلة، وتؤدي ايضاً الى اضعاف الدولة الامة بأعتبارها مصدر

للهوية، في انحاء كثيرة في العالم، والدين قد انتقل لسد هذه الفجوة، وغالباً في شكل الحركات التي تحمل اسم (الاصولية) تم العثور على مثل هذه الحركات في المسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية، وكذلك في الاسلام، في معظم البلدان ومعظم الاديان الفئة الناشطة من الشعب في الحركات الاصولية اذا كانت مسألة كون المرء امريكياً يعني التزامه بقيم الحرية، والديمقراطية الفردانية، والملكية الخاصة، واذا لم يكن هناك امبراطورية شر تهدد هذه المبادئ فماذا يعني بالفعل ان تكون امريكياً.[٣٥] لقد كان الاتحاد السوفيتي مبرراً لأنواع من الممارسات الوحشية التي مارستها الولايات المتحدة الامريكية في انحاء كثيرة من العالم، لقد كان ما يمكن تسميته محفزاً استراتيجياً حاضراً دائماً ومرعباً اعلامياً على الاقل ولكن بأنتهاء الحرب الباردة فقدت القيادة السياسية الامريكية هذا المحفز الاستراتيجي الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي وتهديده المحتمل، وهذا المحفز في دولة ديمقراطية انه امر حيوي لأبقاء الارادة الداخلية متماسكة.[٣٦]

ب. فكرة الحضارة الغربية في حالة تهديد دائم

في عالم ما بعد الحرب الباردة تركزت جهود تطوير اسلحة الدمار الشامل ووسائل استخدامها في الدول الاسلامية والكونفوشية، باكستان وربما كوريا الشمالية، العراق لديه امكانيات حرب نووية، ايران لديها برنامج نووي واسع لتطوير الاسلحة.[٣٧] ويكرس عبدالله العروي الموقف نفسه حين يبين ان هنتنكتون يشير الى ان الولايات المتحدة الامريكية ما زالت مهددة وتستلزم من القيادة الامريكية استدامة الخطر ويستلزم ذلك ضرورة المحافظة على جميع الاجهزة الدفاعية والامنية من حلف شمال الاطلسي الى القيادة الامريكية، الى جهاز المخابرات، الى تجارب الاسلحة الجديدة.[٣٨] فالغرب في أوج قوته يواجه غير الغربيين والذي تكون لديه الرغبة والإرادة والموارد اللازمة لتشكيل العالم في طرق غير غربية.[٣٩] الاختلافات في الثقافة والدين تخلق الخلافات حول قضايا السياسة العامة.[٤٠]

والتهديد الدائم يؤدي الى توجيه وصرف الرأي العام عن الاهتمام بالمشاكل الداخلية تحت غطاء اولوية التهديد الخارجي[٤١] فقد دأب رامسفيلد منذ دخوله المعترك السياسي على انتقاد CIA وميلها الى التقليل من اهمية المخاطر، غير انه لم يكن العضو الوحيد في الادارة الامريكية الذي انتقدها، فقد حذا حذوه كل من بول وولفوفيتز الرجل الثاني في وزارة الدفاع، وريتشارد بيرل العضو البارز في حركة المحافظين الجدد الذي عين في منصب المستشار الاعلى في البنتاغون.[٤٢]

جـ.الاستراتيجية العسكرية والانفاق العسكري(تبرير الحرب)

لقد ابتدع هنتنكتون إلي جانب كثيرين آخرين من شاكلته، معظمهم جاءوا من رحم قوى الظل العالمية، رسالة يشرح فيها التبرير الأخلاقي للحرب التي من أجلها أوصلوا جورج دبليو بوش الى البيت الأبيض[٤٣] أطروحة هنتنكتون حول صدام الحضارات ليست سوى فكرة تعبوية لا تستند إلى أي حقائق علمية أو مبررات أخلاقية، وهدفها فقط تبرير الصدامات التي يشهدها العالم نتيجة لرفض أناس كثيرين لمنطق "الهيمنة والابتلاع"[٤٤] هذه الفكرة تتعلق بالاستراتيجية العسكرية في فترة ما بعد الحرب الباردة، فبعد انتهاء هذه الحرب، استمرت الولايات المتحدة الامريكية في محاولتها لوضع انموذج واضح ومحدد لأستراتيجيتها العسكرية[٤٥] وايضاً نشأت فكرة ضرورة ان يستمر الغرب في تطوير قواه العسكرية ولتبرير ميزانية دفاع الولايات المتحدة امام الكونكرس وامام التيار الجمهوري الذي يدعو الى الانكفاء والعزلة بالنسبة للولايات المتحدة.[٤٦]

لابد من الاشارة هنا الى الدور الذي يلعبه المركب العسكري الصناعي في الدول الغربية في تشجيع الروح العدائية فالصناعة العسكرية، صناعة كبيرة وتمتلك بعض السيطرة على وسائل الاعلام وصانعي القرار السياسي، ولها مصالح في تشجيع التسليح وميزانيات الدفاع المرتفعة، وهذا المركب ينتعش بوجود الحروب والتوترات ولايستطيع العيش في جو السلام، لأن ذلك يعني نهايته وافلاسه.

د. **قيادة المعسكر الغربي**

بعد انتهاء الحرب الباردة زالت القوى اللاحمة للتحالف الذي كان يضم الولايات المتحدة الامريكية واوربا الغربية واليابان، وانتفت الحاجة الى الدعم الدفاعي الامريكي لكل من اوربا الغربية واليابان، وهذا الوضع يخلق مشاكل للولايات المتحدة الامريكية على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري، خصوصاً اذا ما حققت اوربا وحدتها السياسية.(٤٧) وحسب اعتقاد هنتنكتون فأن الولايات المتحدة الامريكية تعتبر اقوى الدول الغربية، فأنها الاصلح لقيادة المعسكر الغربي، وستبني سياسة قائمة على التعاون الوثيق مع شريكاتها الاوربيات بهدف الحفاظ على الخصوصية الحضارية للمجموعة الغربية.(٤٨) ويطلب هنتنكتون من صانعي القرار في دول الغرب أن يأخذوا هذه الفكرة، بصفتها "حقيقة" في الاعتبار، والعمل على استمرار السيادة الغربية عن طريق إقامة تحالفات "حضارية" بين دول الغرب ذات الثقافة المشتركة مع الولايات المتحدة بصفة خاصة.(٤٩) في الحقيقة هذه المزاعم تعكس رغبة الولايات المتحدة الامريكية في جعل اوربا الغربية وايضاً اليابان يدوران في فلكها ولايكونان قوة من الممكن ان تنافسها في المستقبل.

هـ. **التخويف من الاسلام**

استعملت كل الوسائل لأظهار الاسلام والمسلمين والثقافة الاسلامية في شكل منفر وبشع والهدف من ذلك هو نشر حالة من الحذر والخوف بل والفزع من الشخصية الاسلامية الفردية والجماعية.(٥٠)

هناك بعض المفكرين مثل ماكسيم رودستون وفردريك شلايرماخر واوليفر بادربون، كانت لهم اراء حول الاسلام وكونه خطراً يهدد الغرب وتتلخص هذه الافكار، بأن المسيحيين ينظرون الى الدين الاسلامي بأعتباره خطراً يهدد المسيحية وذلك لأنه دين مزيف وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) ليس نبياً وانه دين ابتدعه رجال لهم دوافعهم وطباعهم فقد نشروه بقوة السيف ولذلك بالسيف يمكن القضاء عليه وقد خلف هذا التفاعل بينهما لقرون طويلة ارث يدعو الى المواجهة وهذا يكمن في

ان كلتا الحضارتين تحمل معنى الرسالة والمهمة الكونية، ولهم روابط روحية ومادية مشتركة وبحكم كل هذا شكل المسيحيون والمسلمون بعضهم لبعضهم الاخر تحدياً دينياً وفكرياً وعسكرياً ويؤكد فريدريك شلايرماخر بأن المسيحيين والمسلمين لايزالون يتنافسون بهدف السيادة على الجنس البشري.(٥١)

الاسلام مصدر عدم استقرار لأنه ينقصه وجود مركز مسيطر، الدول الطامحة لزعامة الاسلام مثل السعودية وايران وباكستان، وربما اندنوسيا تتنافس على النفوذ في العالم الاسلامي، والاكثر اهمية ذلك الانفجار الديموغرافي في المجتمعات الاسلامية، ووجود اعداد كبيرة من الشباب الذكور بين١٥و ٣٠ سنة والعاطلين غالباً عن العمل، هذه البطالة مصدر طبيعي لعدم الاستقرار والعنف داخل الاسلام او ضد غير المسلمين.(٥٢)

بالرغم من محاولة التعرف على الاهداف التي تحاول اطروحة(صِدام الحضارات) ان تدعمها الا ان جوهر القضية المطروحة هو المصالح، مصالح الغرب وفي مقدمتها النفط والسوق العربية ..... الخ. انه من الطبيعي جداً ان يشعر الغرب بأن اي تقدم يحققه العرب والمسلمون سيكون على حسابه، لأن مصالحه في بلاد العرب والاسلام تقتضي ذلك.(٥٣)

الخاتمة

تتلخص خاتمة البحث بالوصول الى نتيجة وهي ان فكرة العولمة تميل الى تشكيل ثقافة عالمية لها خصائص مشتركة، وليس بالضرورة ان يسيطر عليها مركز واحد، فقد تنهض الثقافات غير الغربية دون ان تدخل في صراع مع الحضارة الغربية اي ان العلاقة تكاملية وجدلية تتبادل التأثير والتأثر، وان فكرة نهاية التاريخ هي تعبير عن نشوة النصر في اعقاب انهيار (الاتحاد السوفيتي) ونهاية الحروب والصراعات، ان هاتين الفكرتين لا تخدمان مصالح السياسة الامريكية في التوسع وفرض سيطرتها على العالم، وقد تراجعت هاتان الفكرتان لتحل محلهما فكرة صِدام الحضارات والتي هي في جوهرها تعبير من ان الانتصار الكامل ما يزال بعيد المنال ويتطلب حالة جديدة من التعبئة الشاملة التي يلزمها عدو بديل.

المصادر حسب الهوامش

(١) عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٢

(٢) كمال مجيد، العولمة والدولة، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٢، ص٥

(٣) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٣٦

(٤) كمال مجيد، العولمة والديمقراطية، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٠، ص٣٧

(٥) عبد الجليل كاظم الوالي، مصدر سبق ذكره، ص١٧

(٦) عبد الخالق عبد الله، عولمة السياسة والعولمة السياسية، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٤٦

(٧) هيفاء عبد الرحمن ياسين التكريتي، آليات العولمة الاقتصادية واثارها المستقبلية في الاقتصاد العربي، دار الحامد، الاردن، ٢٠٠٩، ص٢٣٠

(٨) المصدر نفسه، ص٢٥٣

(٩) محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص١٣٧

(١٠) هيفاء عبدالرحمن ياسين التكريتي، مصدر سبق ذكره، ص١٧

(١١) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الاخير، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، مركز الانماء القومي، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٣

(١٢) محمد عبد الخالق، الحوار المتمدن، (العدد١٢٦٢، لسنة ٢٠٠٥)، www.ahwar.org

(١٣) فائز صالح محمود، الفكر السياسي المعاصر نماذج مختارة، دار العابد، الموصل، ٢٠٠٨، ص٤٧

(١٤) محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص٨٤

(١٥) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات الى انسنة الحضارة وثقافة السلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨، ص٨٠

(١٦) حسين مؤنس، الحضارة دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والاداب والعلوم، الكويت، ١٩٧٨، ص١٣

(17) Samuel P.Huntington,The Clash Of Civilization,Foreign Affairs,Volume 72,No3,summer 1993,p23_24.

(١٨) كوثر عباس الربيعي، امريكا والتنظير للعولمة بين نهاية التاريخ وصراع الحضارات والطريق الثالث، ، قضايا سياسية، (المجلد الاول، العدد الثاني، سنة ٢٠٠٠)، ص١٩٨

(19) Huntington,Op.cit.,p.23_24.

(٢٠) صموئيل هنتنكتون، صِدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، نقله الى العربية د.مالك ابو شهيوة ود.محمد محمود خلف، الدار الجماهيرية، ليبيا، ١٩٩٩، ص١٦٧

(21) Dieter Senghaas,Aclash of Civilizations An Idee fixe?,Journal of Peace Research,vol.35,no.1(Jan.1998) p.128.

(٢٢) صموئيل هنتنكتون، مصدر سبق ذكره، ص١٦٧

(٢٣) محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨

(٢٤) صموئيل هنتنكتون، صدام الحضارات....، مصدر سبق ذكره، ص١٢

(٢٥) صموئيل هنتنكتون، المصدر نفسه، ص١٦

(26) Huntington,Op.cit.,p.23.

(٢٧) امجد حداد مصدر سبق ذكره، ص٢٣٨

(٢٨) فائز صالح محمود، مصدر سبق ذكره، ص٥٩_٦٠

(٢٩) صموئيل هنتنكتون، صِدام الحضارات...، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٦

(٣٠) المصدر نفسه، ص٢١٢

(٣١) المصدر نفسه، ص٢١٥

(٣٢) صموئيل هنتنكتون، من نحن؟التحديات التي تواجه الهوية الامريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، ٢٠٠٥، ص٢٦٤

(٣٣) صموئيل هنتنكتون، صِدام الحضارات ....، مصدر سبق ذكره، ص٣٧

(34) Huntington,Op.cit.,p.25

(35) Huntington,Op.cit.,p26

(٣٦) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية....، مصدر سبق ذكره، ص٢١٣_٢١٤

(٣٧) عبدالله نقرش وعبدالله حميد الدين، السلوك السياسي بعد الحادي عشر من ايلول/سبتمبر :وجهة نظر، المستقبل العربي، (العدد٢٨٦_٢٠٠٢) ص١٠

(٣٨) صموئيل هنتنكتون، صِدام الحضارات....، مصدر سبق ذكره

(٣٩) نقلاً عن : محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية.....، مصدر سبق ذكره، ص٢١٢

(40) Huntington,Op.cit.,p.26.

(41) Ibid.p.26.

(٤٢) محمد سعدي، المصدر نفسه، ص٢١٨

(٤٣) فرانك دانينو، حكاية سياسية ١٩٤٧_٢٠٠٧، ترجمة عبير المنذر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٥٣

(٤٤) عبد الحي يحيى زلوم، امبراطورية الشر الجديدة، www.wordpress.com

(٤٥) بركات محمد مراد، صورة المسلمين الملتبسة وصراع الحضارات، alarabi.ma www.attarikh–

(٤٦) فائز صالح محمود، مصدر سبق ذكره، ص٦٧

(٤٧) محمد سعدي، مصدر سبق ذكره، ص٢١٢

(٤٨) فائز صالح محمود، الفكر السياسي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص٦٦

(٤٩) كوثر عباس الربيعي، مصدر سبق ذكره، ص١٩٩

(٥٠) بركات محمد مراد، مصدر سبق ذكره، www.attarikh alarabi.ma

(٥١) عبد الرزاق مقري، صِدام الحضارات محاولة للفهم ابعاد واسباب ومآلات العدوان الامريكي على الامة الاسلامية، دار الحكمة، مصر ٢٠٠٤، ص٤٤

(٥٢) فواز جرجس، الامريكيون والاسلام السياسي:تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الامريكية، الوطن العربي في السياسة الامريكية، آدمون غريب واخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٦٥–١٦٦

(٥٣) صموئيل هنتكتون، صِدام الحضارات...، مصدر سبق ذكره.ص٤٢–٤٣

(٥٤) محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص١٣١